عنوان البرنامج: الدراسات الاستشرافية
الوحدة الثالثة: المنظور الإسلامي للاستشراف
الدرس الرابع: هل يمكن تأسيس مستقبليات إسلامية؟
اسم المحاضر: الدكتور خالد ميار الادريسي

# هل يمكن تأسيس مستقبليات إسلامية؟

إن الحديث عن دراسات مستقبلية إسلامية يشوبه الشيء الكثير من الجدل، ذلك أن الممارسة الاستشرافي في العالم الإسلامي نادرة لأسباب متعددة وأهمها الاعتبار السياسي حيث تنعدم إرادة سياسية قوية لتأسيس مستقبليات خاصة بالعالم الإسلامي، والغالب أنه يتم اللجوء إلى مكاتب الاستشارة والخبرة العالمية لصياغة مشاهد مستقبلية ودراسات استشرافية تحت الطلب.

ومطارحة إشكالية هل يمكن تأسيس دراسات مستقبلية إسلامية؟ يقتضي النظر أولا في المحاولات التي رامت بسط القول في هذه الإشكالية. فهذا الدرس لا يتوخى النظر الأكاديمي في هذا الموضوع، وإنما مجرد إثارته وتبسيط مضامينه وقضاياه والتعرف على وجوه الصعوبة في تناوله والحديث فيه. وهكذا يمكن أن نعود لأهم الدراسات التي طرقت للإشكالية ومن ذلك أراء ضياء الدين سردار والدكتور سهيل عناية الله.

فما هو المقصود بالمستقبليات الإسلامية عند الباحثين؟ وما هي محددات الاشتغال بهذا الموضوع؟

يقول سهيل عناية الله أثناء حديثه عن المستقبلات الإسلامية البديلة «ولكن هل ثمة ما يمكن قوله عن هذا العالم غير المألوف؟ فعلى حين أن ثمة قدرا عظيما من الفكر في العالم الغربي فإن التفكير المستقبلي في العالم الإسلامي – باستثناء أعمال سردار والكتابات الأخرى في مجالات الدراسات المستقبلية – ضئيل جدا.

الخلاصة العامة التي توصل إليها سردار أن المسلمين ضلوا طريقهم وفقدوا قدرتهم على الاشتغال بالاجتهاد وأصبحوا متأثرين كلية بالتغريب وأما في الحالة رد فعل على هذا. إن الإسلام في حاجة

لإعادة تشكيل نفسه على أساس رسالة النبي الأصلية. ويقدم الإسلام – برأي سردار – الاتجاه والتوجيه والنموذج المعرفي الإرشادي وطريقة التفكير ومقاربة المستقبل بانفتاح نقدي، فهو دعوة للفكر وللمستقبل وهذا ما يجب غرسه في الأذهان»[1].

إن الحديث عن مستقبليات إسلامية أو فكر مستقبلي إسلامي، ليس حتما هو مجرد الكتابة عن مستقبل الإسلام أو ما شابه ذلك، ولكن المراد بالمفهوم، هو وجود فكر يروم البحث في الدراسات المستقبلية ويستند على مرجعية الإسلام في التفكير الاستشرافي. والسائد حاليا هو دراسات تأصيلية للاستشراف في القرآن والسنة ويصعب القول بوجود دراسات مستقبلية إسلامية، تستثمر أصول وقواعد الإسلام لبناء تصورات مستقبلية جزئية أي قطاعية أو شاملة.

إن مفهوم المستقبليات الإسلامية عند سردار مرتبط بوظيفة محددة وهي تجاوز وضع المتردي للعالم الإسلامي، بحيث يقول «إن هدف المستقبليات الإسلامية وضع طريق للخروج من المأزق الحالي، وتطوير رؤى للإدارة وبدء التغيير، ووضع خطط بديلة مستقبلية مرغوبة للأمة الإسلامية. يتطلب مشروع المستقبليات الإسلامية قطيعة فاصلة مع الفكر الإسلامي التقليدي والمعتمد على التقليدية المتصلبة والفهم أحادي البعد للعالمين الحداثي وما بعد الحداثي، ويتطلب أيضا فهما جريئا ومبدعا للتحديات التي تواجه الأمة الاسلامية. إن هذا المشروع يحتاج فهما أكثر جدة وعمقا ومستقبلية للإسلام، وإرادة جمعية واعية للتغلب على المأزق الحالي، وكذلك يحتاج إلى جرأة فكرية وخيال لتخيل ما كان حتى اليوم مستحيلا تخيله، ولتطوير الافكار التي توجد فقط على الهامش وتصور ما قد يظهر الآن كأحلام غير محققة»[2].

إن الهدف الذي حدده سردار للمستقبليات الإسلامية هو نتيجة تشخيص مسهب لواقع الأمة الإسلامية وأسباب تعثرها وبالتالي غياب تمثل سليم للواقع والماضي وكذلك للمستقبل. وهكذا يرى سردار بأن المستقبل حاضر في الخطاب القرآني والسنة النبوية والممارسة الفعلية للصحابة والتابعين، ويذكر سردار بحقيقة مؤداها «لا يؤكد الإسلام على وعي المؤمنين بالمستقبل فحسب، ولكنه يؤكد ايضا على

1. انظر: سهيل عناية الله: استشراف مستقبل الأمة، مجلة إسلامية المعرفة. مرجع سابق ص: 81،

– للتوسع انظر أعمال سردار:

- Sardar : The future of Muslim Civilization, London and New York : Mansell 1987.
- Sardar (ed) : An Early Crescent : The future of Knowledge and the environment in islam, London and and New York : Mansell Pub. 1989.
- Sardar : Islamic future, The Shape of Ideas to come, London and new York : Mansell, 1985.

2. انظر: ضياء الدين سردار: ماذا يعني بالمستقبليات الاسلامية؟ ترجمة محمد العربي – الاسكندرية، مصر: مكتبة الاسكندرية، وحدة الدراسات المستقبلية، 2014. ص: 25.

ضرورة ان يقوم المؤمنون بتشكيل مستقبلهم بفاعلية. وبسبب طبيعة معتقدهم بان المسلمين مطالبون بالانخراط في العالم وتغييره؛ إن القرآن يحث المسلمين باستمرار على النضال من أجل تغيير أنفسهم، وبالنضال من أجل تغيير العالم حتى يصبح مكانا أكثر عدالة وسلاما ومساواة ﴿**وان ليس للإنسان إلا ما سعي إن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى**﴾ (سورة النجم، الآيات: 39 – 41). ولهذا نجد أن جوهر الشريعة الذي يتعلق أساسا بتشكيل وإعادة تشكيل المستقبل»[3]. وإذا كان الأساس هو الاجتهاد، فإن سردار يعاتب الأمة على تركها للاجتهاد وتجاهل «الرسالة المستقبلية لعقيدتهم»[4]. والتي هي أساس ولب ومحرك الحضارة الإسلامية الكلاسيكية. وكان من نتائج ذلك «تجمد فهم المسلمين للرؤية الكونية الإسلامية في التاريخ. وعبر فترات اضمحلالها الطويلة التي انتهت بالاستعمار، فقدت الحضارة الإسلامية قدرتها على تطوير أفكار جديدة، واستحباب وتفسير المصادر الأصولية للإسلام: وهي القرآن وسنة النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. لقد تسبب الاستعمار في مزيد من التحجر الفكري، حيث سادت النظرة القائلة بأن التقليدية المتخلفة هي الحامي الوحيد للإسلام في مواجهة زحف الغرب. وأخيرا، لقد ادت سياسات التنمية التي صاحبتها التغريب غلى التجريد المنظم للأمة الإسلامية من طبقاتها الأخلاقية الكلية تاركا إياها لغلالة رقيقة مما أسماه الراحل «فضل الرحمان» إسلام الحد الأدنى، وهو مجموعة من الطقوس، والشفقة، وقائمة من المباحات والمحرمات. وفي عالمنا المعاصر، يبدو الإسلام كمجموعة من الطرائق الاختزالية المتفرقة. وتفضل المجتمعات الإسلامية المعاصرة أن تنظر إلى الخلق، وأن تتخبط في حنين ماضوي لماضيها الذهبي بدلا من ان تعمل وتخطط من اجل مستقبل نابض بالحياة»[5].

ولذا يقترح سردار الأخذ بمجموعة من المبادئ لتأسيس المستقبليات الإسلامية ومن ذلك الواقعية في فهم وإدراك تمثل التغيرات الطارئة على المجتمع الحالي والتحديات التي يواجهها وكذا النظر إلى الأمة باعتبارها حضارة ذات رؤية للكون والحياة وقادرة على حل مشكلات العصر فأول مبادئ المستقبليات الإسلامية هو «ان الإسلام يشبك مع العالم المعاصر باعتباره نظرة عالمية تعمل شبكتها المفاهيمية لمنهجية لعلاج المشكلات، وإنتاج إمكانات وخيارات مستقبلية من أجل المجتمعات المسلمة»[6].

إن الطابع العالمي للحضارة الإسلامية، يمنح المسلمين إمكانية التشارك الحضاري والامتزاج مع العالم ومعانقة همومه والبحث عن مستقبل افضل للجميع. إن التشاركية في بناء مستقبل للأمة وللغير

3. نفس المرجع، ص: 42.
4. نفسه، ص: 42.
5. نفسه، ص: 43.
6. نفسه، ص: 45.

بعد أساسي للمستقبليات الإسلامية، يقي الأمة من الانعزالية والانفتاح على بدائل متعددة للمستقبل. إن سردار يؤكد بأن «تشكيل المستقبليات الإسلامية هو عمل تشاركي يقوم على استكشاف البدائل والإمكانات وصناعة الاختيارات»[7]، والتشاركية تقتضي التعددية في الآراء والرؤى والمنطلقات، وتقود التعددية والتنوع بالضرورة إلى المشاركة، ومن ثم إلى المبدأ الرابع للمستقبليات الإسلامية؛ إن تشكيل المستقبليات الممكنة والمرغوبة للحضارة الإسلامية يجب أن يتضمن المشاركة الفاعلة للمجتمعات والجهد الواعي للتشاور (الشورى) على كل مستويات المجتمع بهدف تحقيق إجماع واسع»[8].

إن المبادئ التي يصوغها سردار والمشكلة للمستقبليات الإسلامية هي وسيلة للممارسة النقد الفعال للفكر الإسلامي؛ كما أنها تمنح -في تصوره - للأمة الإسلامية القدرة على الإدارة الخلاقة لمواجهة التغير والتعقد والتناقص والتصارع.

ويطمح سردار إلى صياغة لغة جديدة للمستقبليات الإسلامية، فيجب أن ندمج هذه اللغة الجديدة بالخطاب الجديد حول الإسلام والرؤية الكونية الإسلامية في العالم المعاصر. ويجب أن ننظر للسعي نحو الخطاب الإسلامي الجديد كمعركة من أجل السلطة أو مجموعة من التفسيرات السلطوية. وإذا لم يشارك المسلمون في كل مكان في هذا الخطاب، وإذا لم يسعوا نحو استعادة تسامحهم وانفتاحهم وروحهم التشاركية التي طغت على مجتمع المسلمين الاوائل، فسيظلون رهائن لاحتمالات المستقبل، وسيصبحون أدوات عاجزة للتغير الذي لا يرغبون فيه ولم يختاروه»[9].

لقد حاولنا اختزال الأفكار الأساسية لسردار ولا يعفي ذلك من الرجوع إلى أعماله لتكوين فكرة صحيحة ومتكاملة عن مطالبه بتأسيس المستقبليات الاسلامية. ويشيد سهيل عناية الله بهذه الاعمال وغيرها حيث يقول: «وكما تعلمنا من ضياء الدين سردار في كتبه المتعددة عن المستقبلات الإسلامية ومن منور أنيس وبارفيز وأنور إبراهيم وسيد حسين نصر وميريل دافيز ومحمد أكرم خان، فإن الإسلام رؤية للعالم مستقبلية التوجه، وهي كذلك لأننا نعرف من حياة النبي صلى الله عليه وسله أن الرؤية والدعوة اصبحتا سلسلة من الخطوط الاستراتيجية لتحقيق هذه الرؤية، فقد أوضحت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مشكل كامل القدرة الإنسانية على عقل الماضي والتعلم منه والبحث بشكل سليم مستقبلي التوجه، حيث يعرض بديلا للاشتراكية دولية التوجه والرأسمالية التي وصلت ذروة الجشع. وعلى حين يحاجج البعض بأن الإسلام ليس مستقبلي التوجه بالمعنى الزمني، لأن علاقة المسلم الأولية هي

7. نفسه، ص: 47.
8. نفسه، ص: 47 – 48.
9. نفسه، ص: 66.

خضوعه للإله (فكما يقول البعض لم نهتم بالمستقبل لنثق فقط بالله) فإنه يجب فهم الإسلام ليس على أنه مجرد دين يوضح العلاقة بين الذات والإله فحسب بل على أنه حضارة تشير على كيفية معاملة كل فرد للآخر وللطبيعة وعمل الخير، فقضايا الاقتصاد والحكم غير منفكة عن الخطاب الديني، فالإسلام لا يدفع كل فرد ومجتمع لقياس حاضره على مستقبله المثالي، كما تمثل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقط، بل لديه القدرة على أن يصبح نموذجا تخطيطيا للمستقبلات»[10].

إن التفكير المستقبلي الإسلامي وعملية تجديده وبعثه وتأسيسه على قواعد وضوابط مستوعبة لخصائص العصر العالمي المابعد الحداثي وما بعد العلماني، يرتبط كل ذلك بالتفكير الجدي في مواءمة المنظومة التعليمية في العالم الإسلامي مع روح العصر وتشجيع الإبداع وإنهاض النفوس من جديد نحو استيعاب مقاصد الدين وتمثله تمثلا سليما وبعيدا عن التشنجات الفكرانية والتهافت نحو الاستحواذ على السلطة والتعالي على الناس. فتأسيس مستقبليات إسلامية يقتضي تمكين الباحثين الشباب من تكوين متكامل ومنفتح على العطاءات الإنسانية وقادر على سبر أسرار الشريعة الإسلامية.

10 . سهيل عناية، استشراف مستقبل الأمة، مرجع سابق، ص: 53.

وللتوسع انظر:

- Anwar Ibrahim : the Asian Renaissance (Singapore : Time Books, 1996).
- Parvez Mansoor : ¨ The Crisis of Muslim Thought and The future of the Ummah ¨ in the Early Crescent : The future of Knowledge and the Environment in Islam, ed. Zia Sardar (London and New York : Mansell, 1989), 57 - 92, and ¨the future of Muslim Politics¨ Future 23, n°, 3 (April 1991) : 289 - 301.
- Munawar Aness, ¨Epistemologie in the Robotic Cultur¨, in the Early Crescent : The Future of Knowledge and the Environme,t in Islam, ed. Zia Sardar (London and New York : Mansell, 1989), 92 - 124 ; and Cristian - Muslim Relations : Yesterday, To day, Tomorrow (London : Grey Seal, 1991).
- Seyyed Hossein Nasr, The need for a Sacred Science (Albany : Univercity of New York Press 1993).
- Merry wyn Davies, knowledge Author : Shaping an Islamic Authropology (London : Mansell, 1987) ; and Merry Wyn Davies and Adnan Khalil Pasha, eds ; Beyond Frontiers : Islam and Contemporary Needs (London : Mansell, 1989).
- Mohammed Akram Khan : ¨The future of Islamic Economics¨, Future 23, n°3 (April 1991) : 248 - 61.